إصلاح القرية أم إصلاح حال الفلاح

للأستاذ عريان يوسف سعد

حلم جميل لو تحقق ... فأى شيء أجمل من أن نرى القرى المصرية وقد اصطفت فيها بيوت صغيرة أنيقة تتوافر فيها وسائل الراحة. الماء فيها موفور على مقربة من القرويات والدواء ميسور فى الوحدات الصحية .

ولكن هل هذا ما يحتاج اليه الفلاح حقيقة ؟ بيت جميل وماء ودواء — إنك من غير شك تشعر بركن منهدم من هذه السعادة فالبيت مبنى والماء موفور والدواء فى متناول اليد، ولكن هل هذا كله يغنى عن الطعام ؟ من غير شك لا ... وهل تليق الجلابية المرقعة للظهور فى هذا البيت ؟ تصور الفلاح فى هذا البيت النموذجى و بجانبه الماء النقى ولكنه لا يزال يرتدى جلابية واحدة ليس تحتها شيء من الملابس الداخلية .

وتصوره وقد وضع أمامه خبز الذرة وقليلا من الملح وبصلة أو قطعة من أى خضار مخلل تصل إليه يده من الخيار إلى قشر البطيخ إلى الكبر إلى ورق الكرنب وجلس يأكل ذلك الطعام الذى لا ينجو من يعيش عليه من الهزال واصفرار اللون وضعف المناعة الصحية وعدم نمو الجسم نموا يبلغ بالأولاد أجسام الرجال الكاملين وبالبنات أجسام الإناث الصحيحات.

هذا الطعام الذى يعيش عليه الفلاحون هو أساس شقاء الفلاح ، وكل إصلاح يحاوله أولو الأمر قبل العناية بتحسين هذا الطعام بدء من نصف الطريق لا يفيد .

كانت موارد الريف فيما مضى أكثر بالنسبة لعدد السكان . يدلك على ذلك أسعار الأشياء التى يأكلها الفلاح — كانت أثمان الحبوب بسيطة والطيور والبيض واللحم والسمن كانت أثمانها ضئيلة . اسأل فلاحا شيخا يقل لك كنا نشترى ٢٠ بيضة بقرش وكيلة الذرة بأربعة قروش وقس على ذلك .

وكان عدد البقر والجاموس فى البلاد أكثر بكثير من عدده الآن رغم زيادة عدد السكان زيادة تكاد تبلغ الضعف، فقد استهلكت الحرب الماضية عددا ضخما من الجاموس والبقر لم تفكر حكومة من الحكومات فى استيراد غيره من الخارج بعد تلك الحرب وتوزيعه على

[illegible] السن هي التي تبدأ فيها الجاموسة أو البقرة الإنتاج . ولو جعلت السن التي تكلف فيها البقرة أو الجاموسة عن الولادة هي الحد الأدنى لجاءت تلك التشريعات بشيء من الفائدة .

أدت قلة الجاموس والبقر ، خصوصا بالنسبة لزيادة السكان باطراد ، إلى قلة اللبن ومنتجاته من الجبن والسمن فارتفعت أسعارها وقصرت قدرة الفلاح الشرائية عن أن تمكنه من الفوز بقسط وافر منها فاضطر لأن يملأ بطنه بما لا يسمن و يشبع فهزل وانحطت مقاومته للأمراض ومناعته ضد الميكروبات ففشت وانتشرت وعنى المصلحون بمقاومتها بالعقاقير والأدوية ، و باعتبارى ، رجلا نشأ فى أوساط الفلاحين وخبر حياتهم عن قرب وأصيب بأمراضهم مثل البلهارسيا — أعتقد أن أول مايجب أن يعنى به الطبيب المعالج هو أن يوفر الطعام و الراحة لمريضه فمثلا حقنة الفؤادين التى تعالج بها البلهارسيا تستوجب الطعام المغذى والراحة التامة والفلاح لاحول له ولا قوة على الحصول على غذاء مفد .

ولا يمكنه أن ينقطع عن عمله فكأنه يعالج نصف علاج . ولست أجسر أن أقول إن العلاج بهذا الشكل ضار خشية أن يغضب الأطباء لتدخلى فى صميم عملهم .

من أراد أن يصلح الفلاح وحال الفلاح وصحة الفلاح فليعن أولا بأساس الحياة وسر الوجود وهو الطعام ثم الماء ثم الدواء ثم السكن أما أن يتركه يموت جوعا ومسغبة فأنت من غير شك لاتقره على هذا النوع من الاصلاح والمثل العامى يقول (أنا أكلت إيه أشرب عليه) .

أول بناء ينبنى عليه تحسين حال الفلاح مده بإناث الجاموس والبقر تدر عليه اللبن ومنتجاته و يمى ثروته ، فالعجلة التى تعطى للفلاح بأربعة جنيهات يصبح ثمنها بعد ثلاث سنين عشرين جنيها (بأسعار قبل الحرب) وتصبح مورد طعام له ولأولاده ومورد كسب يبيع منها فيستطيع أن يشترى ما يعجز عن شرائه الآن من لوازم الحياة وضروراتها ، والجاموسة بعد ذلك كله أو جله ساعد الفلاح الأيمن تدور فى الساقية وتجر المحراث وتعطيه السماد لأرض يزرعها وتأمين لدى أصحاب الأطيان ، إن طلب أن يزرع أجروا له أرضهم عن طيبة خاطر .

إن فلاحا قويا شبعان ينام فى العراء خير لنفسه وللوطن من فلاح هزيل سقيم يسكن بيتا (مودرن) و يشرب ماء من فيشى !

عريان سعد